

## سورة الحاقة

هى مكية ، وآيها ثنتان وخمسون ، نزلت بعد سورة الملك .  
ومناسبتها لما قبلها :

- (١) إنه وقع فى ن ذكر يوم القيامة مجلا ، وهنا فصل نبأه وذكر شأنه العظيم .  
(٢) إنه ذكر فيما قبلها من كذب بالقرآن وما توعد به ، وهنا ذكر أحوال أمم كذبوا الرسل وما جرى عليهم ، ليزدجر المكذبون المعاصرون له عليه الصلاة والسلام .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

- الْحَاقَّةُ (١) مَا الْحَاقَّةُ (٢) وَمَا أَذْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ (٣) كَذَّبَتْ  
ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ (٤) فَأَمَّا ثَمُودُ فَأَهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ (٥) وَأَمَّا عَادٌ  
فَأَهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ (٦) سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ  
أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أُعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ (٧)  
فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ (٨) وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ  
بِالْخَاطِئَةِ (٩) فَمَصَّوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَابِيَةً (١٠) إِنَّا  
لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ (١١) لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكَرَةً  
وَتَعْمِيهَا أَذُنًا وَعَاقِبَةً (١٢)

## شرح المفردات

الحاقة : من حق الشيء ، إذا ثبت ووجب ، أى الساعة الواجبة الوقوع ، الثابتة الجبىء وهى يوم القيامة ، ما الحاقة : أى أى شئ هـى ؟ تفخيا لشأنها ، وتعظيما لهولها ، وما أدراك ما الحاقة : أى أى شئ أعلمك ماهى ؟ فلا علم لك بحقيقتها ، إذ بلغت من الشدة والهول أن لا يبلغها علم المخلوقين ، والقارعة : هى الحاقة التى تفرع قلوب الناس بالخافة والأهوال ، وتفرع الأجرام بالانفطار والانتشار ، وسميت قارعة لشدة هولها ، إذ القرع ضرب شئ بشئ ، والطاغية : هى الواقعة التى تجاوزت الحد فى الشدة والقوة كما قال « إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ » أى تجاوز الحد ، والمراد بها الصاعقة ، والصرصر : الشديدة الصوت التى لها صرصرة ، عاتية : أى بالغة منتهى القوة والشدة ، سخرها عليهم : أى سلطها عليهم ، خسوما : أى متتابعة واحدها حاسم ، والحسم : القطع والاستئصال ؛ وسمى السيف خساما لأنه يحسم العدو عما يريد من عداوته ، وصرعى : واحدهم صريع أى ميت ، وأعجاز : واحدها عجز ، وهو الأصل ، وخاوية : أى خالية الأجواف لاشئ فيها ، والباقية : البقاء ، والمؤتسكات : أى المنقلبات وهى قرى قوم لوط ، جعل الله عاليها سافلها بالزلزلة ، والخطائنة : الخطأ ، رابية : من ربا الشئ إذا زاد أى الزائدة فى الشدة ، وطفى الماء : تجاوز حده وارتفع ، حملنا كم : أى حملنا آباءكم وأتم فى أصلابهم ، والجارية : السفينة التى تجرى فى الماء ، وتعيها : أى تحفظها ، وتقول لكل ما حفظته فى نفسك : وعيته ، وتقول لكل ما حفظته فى غير نفسك : أوعيته ؛ فيقال أوعيت المتاع فى الوعاء قال : «والشرُّ أخبتُ ما أوعيت من زاد» .

## المعنى الجملى

ذكر سبحانه أن يوم القيامة حق لا شك فيه ، وأن الأمم التى عصت رسلها وكذبتم ، أصابها الهلاك والاستئصال بألوان من العذاب ، فتمود أهلكت بالصاعقة

وعاد أهلكت بریح صرصر عاتية سلطها عليهم سبع ليال وثمانية أيام متتابعة ،  
فصاروا صرعى كأنهم أصول نخل جوفاء ، لم يبق منهم دينار ، ولا نافخ نار ؛ وكذلك  
أهلك فرعون وقومه بالفرق ، وقوم لوط بالزلزال الشديد الذى قلب قراهم وجعل  
عاليها سافلها ، وأهلك قوم نوح بالطوفان .

## الإيضاح

(الحاققة ما الحاققة ؟) هذا أسلوب من الكلام يفيد التفخيم والمبالغة فى الغرض  
الذى يساق له ، فكأنه قيل : أى شئ هى فى حالها وصفتها ؟ فهى لا تحيط بها  
العبارة ، ولا يبلغ حقيقتها الوصف .

ثم زاد سبحانه فى تفضيع شأنها ، وتفخيم أمرها ، وتهويل حالها فقال :  
(وما أدراك ما الحاققة ؟) أى أى شئ أعلمك ما هى ؟ فهى خارجة عن دائرة  
علوم الخلق ، أعظم شأنها ، ومدى هولها وشدتها ، فلا تبلغها دراية أحد ولا وهمه ،  
فكيفما قدرت حالها ، فهى فوق ذلك وأعظم .

قال سفيان بن عيينة : كل ما فى القرآن قال فيه : وما أدراك ، فإنه صلى الله عليه وسلم  
أخبر به ، وكل شئ قال فيه : وما يدريك ، فإنه لم يخبر به .

ثم ذكر بعض الأمم التى كذبت بها ، وما حاق بها من العذاب فقال :  
(كذبت ثمود وعاد بالقارعة) أى كذبت ثمود وعاد بالقيامة التى تفرع الناس  
بالفرع والهول ، والسماء بالانفجار ، والأرض والجبال بالنسف ، والنجوم بالطمس  
والانكدار .

ثم فصل ما نزل بكل أمة من العذاب فقال :

(١) (فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية) أى فأما ثمود فأهلكهم الله بصيحة جاوزت  
الحد فى الشدة كما جاء فى هود « وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ » وهى الصاعقة التى  
جاءت فى حم السجدة ، والرجفة والزلزلة التى جاءت فى سورة الأعراف ، فلا تعارض

بين الآيات ، لأن الهلاك في بعضها نسب إلى السبب القريب ، وفي بعضها نسب إلى السبب البعيد .

(٢) (وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية . سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوماً) أى وأما عاد فأهلكوا بريح مهلكة عنت عليهم بلاشفقة ولارحمة ، فما قدروا على الخلاص منها بحيلة : من استتار ببناء ، أو لياد بجبل ، أو اختفاء في حفرة ، فقد كانت تنزعهم من مكانهم وتهلكهم ، وقد دامت سبع ليال وثمانية أيام بلا انقطاع ولا فتور .

ثم ذكر نتائجها فقال :

(فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية . فهل ترى لهم من باقية؟) أى فترى قوم عاد في تلك السبع الليالي والثمانية الأيام المتتابعة صرعى هالكين ، كأنهم أصول نخل متأكلة الأجواف لم يبق منهم ولا من نسلهم أحد ، وجاء في آية أخرى : « فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَاكِينُهُمْ » .

(٣) (وجاء فرعون ومن قبله والمؤمنات بالخطاة) أى وجاء فرعون ومن تقدمه من الأمم التي كفرت بآيات الله كقوم نوح وعاد وثمود والقرى التي ائتمتكت بأهلها ، وصار عاليها سافلها ، بسبب خطيئتها ومعصيتها .

ثم بين هذه الخطيئة بقوله :

(فعضوا رسول ربهم فأخذهم أخذة رابية) أى فعصى هؤلاء الذين تقدم ذكرهم رسل الله الذين أرسلوا إليهم ، فأخذهم أخذ عزيز مقتدر ، وأذاقهم وبال أمرهم بعقوبة زائدة على عقوبة سائر الكفار ، كما زادت قبائلهم على قبائل غيرهم .

ونحو الآية قوله : « كُلُّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ » .

(إنالما طغى الماء حملناكم في الجارية) أى إنالما ارتفع الماء ، وجاوز الحد ،

وجاء الطوفان حملنا آباءكم من مؤمنى قوم نوح فى السفينة ، لننجيهم من الفرق الذى عم هؤلاء الكافرين جميعا .

والمشهور أن الناس كلهم من سلائل نوح وذريته .

ثم ذكر ما فى هذه النجاة من العبرة فقال :

( لنجعلها لكم تذكرة ) أى لنجعل نجاة المؤمنين ، وإغراق الكافرين عظة

وعبرة ، لدلائها على كمال قدرة الصانع وحكمته ، وسعة رحمته .

( وتعيها أذن واعية ) أى وتفهمها أذن حافظة سامعة عن الله ، فتنتفع بما سمعت

من كتابه ولا تضيع العمل بما فيه .

روى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لعلى : « إبنى دعوت الله أن يجعلها أذنك

ياعلى » قال على كرم الله وجهه : فما سمعت شيئا فنسيته ، وما كان لى أن أنسى .

فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ (١٣) وَمَحَلَّتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ

فَدَكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً (١٤) فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ (١٥) وَأَنْشَقَّتِ

السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ (١٦) وَالْمَلِكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ

فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ (١٧) يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ (١٨) .

## شرح المفردات

نفخة واحدة : هى النفخة الأولى ، حملت الأرض والجبال : أى رفعت من

أما كنها ، فدكتا دكة واحدة : أى ضرب بعضها ببعض حتى اندقت وصارت كثيبا

مهيبا ، الواقعة : النازلة وهى يوم القيامة ، انشقت السماء : أى فتحت أبوابا ، واهية :

أى مسترخية ضعيفة القوة ، من قولهم : وهى السقاء إذا انخرق ، ومن أمثالهم قول الراجز :

خلّ سبيل من وهى سقاؤه . ومن هُرُيقُ بالفلاة ماؤه

أرجائها: أى جوانبها، واحدها رجا، ثمانية : أى ثمانية أشخاص ، خافية : أى سريرة .

## المعنى الجملى

بعد أن قص هذه القصص الثلاثة ، ونبّه بها على ثبوت القدرة والحكمة ، وبها ثبت إمكان وقوع يوم القيامة — شرع يذكر تفاصيل أحوال هذا اليوم وما يكون فيه من أهوال .

## الإيضاح

( فإذا نفخ فى الصور نفخة واحدة ) أى فإذا نفخ إسرافيل النفخة الأولى التى عندها خراب العالم .

( وحملت الأرض والجبال ) أى رفعت من أما كنها ، ولا ندرى كيف رفعت فذلك من أنباء الغيب ، فقد يكون ذلك بريح يبلغ من قوة عصفها أن تحملها ، أو أن ملكا يحملها ، أو بقدرة الله من غير سبب ظاهر ، أو بمصادمة بعض الأجرام كذوات الأذئاب ، فتتفصل الجبال وترتفع من شدة المصادمة ، وترتفع الأرض من حيرتها .

( فدكتها دكة واحدة ) أى فضرب بعضها ببعض ضربة واحدة حتى تقطعت أوصالهما ، وصارتا كشيئا مهيبا ، وهباء منبثا لا يتميز شيء من أجزائهما عن الآخر . ( فيومئذ وقعت الواقعة ) أى فحينئذ تقوم القيامة .

( وانشقت السماء فهى يومئذ واهية ) أى وتصدعت السماء لأنها يومئذ ضعيفة المنعة كالعن المنفوش ، بعد أن كانت شديدة الأسر عظيمة القوة .

( والملائك على أرجائها ) أى والملائكة على جوانب السماء ينظرون إلى أهل

الأرض ، ولا ندرى كيف ذلك ، ولا الحكمة فيه ، فندع تفصيل ذلك ونؤمن به كما جاء فى الكتاب ولا نزيد عليه .

( ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية ) أى ويحمل عرش ربك حينئذ فوق رؤسهم ثمانية من الملائكة .

( يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية ) أى فيومئذ تحاسبون وتسالون ، لا يخفى على الله شىء من أموركم ، فإنه تعالى عليم بكل شىء ، لا يعزب عنه شىء فى الأرض ولا فى السماء ، كما جاء فى آية أخرى : « لا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ » .

وفى هذا تهديد شديد ، وزجر عظيم ، ومبالغة لا تخفى ، وفضيحة للكافرين ، وسرور للمؤمنين بظهور ما كان خفيا عليهم من أعمالهم ، وبذلك يتكامل حبورهم وسرورهم . والتعبير بالعرض تشبيهه بعرض السلطان لمسكره ، ليعرف أحوالهم ، وفى هذا العرض إقامة للحجة ، ومبالغة فى إظهار العدل .

أخرج الإمام أحمد وعبد بن حميد والترمذى وابن ماجه وابن مردويه عن أبى موسى الأشعري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات ، فأما عرضتان فجداول ومعاذير ، وأما الثالثة فعند ذلك تطاير الصحف فى الأيدي ، فأخذ يمينه وأخذ بشماله » .

فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ يَمِينِهِ فَيَقُولُ : هَؤُلَاءِ اقْرَءُوا كِتَابِيَةَ (١٩)  
إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَةَ (٢٠) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ (٢١) فِي جَنَّةٍ  
عَالِيَةٍ (٢٢) قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ (٢٣) كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ  
الْخَالِيَةِ (٢٤)

## شرح المفردات

هاؤم : أى خذوا ، ظننت : أى علمت ، ملاق : أى معان ، راضية : أى يرضى بها صاحبها ، عالية : أى مرتفعة المكان ، والقطوف : ما يجتنى من الثمر ، واحدها قطف ( بكسر القاف وسكون الطاء ) دانية : أى قريبة ، هنيئا : أى بلا تنغيص ولا كدر ، أسلفتم : أى قدمتم ، الخالية : أى الماضية .

## المعنى الجملى

بعد أن ذكر أنهم يعرضون على الله ولا يخفى عليه شيء من أعمالهم — فصل أحكام هذا العرض ، فأخبر بأن من يؤتى كتابه بيمينه يشتد فرحه حتى يقول لكل من لقيه : خذ كتابى واقراه ، لأنه يعلم ما فيه من خير وفضل من الله ، ويقول : إني كنت أعلم أن هذا اليوم آتٍ لأرئيب فيه ، وإني سأحاسب على ما عملت ، وحينئذ يكون جزاؤه عند ربه جنة عالية ذات ثمار دانية ، ويقال له ولأمثاله : كلوا واشربوا هنيئاً بما قدمتم لأنفسكم فى الدنيا .

## الإيضاح

( فأما من أوتى كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقروا كتابيه ) أى فأما من أعطى كتابه بيمينه فيقول : تعالوا اقروا كتابى فرحاً به ، لأنه لما أوتيه باليمين علم أنه من الناجحين الفائزين بالنعيم ، فأحب أن يظهره لغيره حتى يفرحوا بما نال . ثم ذكر العلة فى حسن حاله فقال :

( إني ظننت أنى ملاقٍ حسابية ) أى إني فرح مسرور ، لأنى علمت أن ربى سيحاسبنى حساباً يسيراً ، وقد حاسبنى كذلك ، فإله عند ظن عبده به .

قال الضحاك : كل ظن في القرآن من المؤمن فهو يقين ، ومن الكافر فهو شك .  
وقال مجاهد : ظن الآخرة يقين ، وظن الدنيا شك .

وقال الحسن في الآية : إن المؤمن أحسن الظن بربه فأحسن العمل للآخرة ،  
وإن الكافر أساء الظن بربه فأساء العمل لها .

ثم بين عاقبة أمره فقال :  
( فهو في عيشة راضية ) أى فهو يعيش عيشة مرضية بخالية مما يكدر مع دوامها ،  
وما فيها من إجلال وتعظيم .  
ثم فصل ذلك فقال :

( فى جنة عالية قطوفها دانية ) أى فهو يعيش فى بستان عال رفيع ذى ثمار دانية .  
القطوف ، يأخذها المرء كما يريد ، إن أحب أن يأخذها بيده انقادت له ، وهو قائم  
وجالس أو مضطجع ، وإن أحب أن تدنو إلى فيه دنت له .

( كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم فى الأيام الخالية ) أى ويقول لهم ربهم  
جل ثناؤه : كلوا يامعشر من رضيت عنه فأدخلته جنى — من ثمارها وطيب ما فيها  
من الأطعمة ، واشربوا من أشربتها ، أكلاً وشرباً هنيئاً لا تتأذون بما تأكلون  
وما تشربون جزاء من الله ، وثواباً على ما قدمتم فى دنياكم لأخرتكم من  
العمل بطاعتي .

وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَةَ (٢٥)  
وَلَمْ أَذَرِ مَا حِسَابِيَةَ (٢٦) يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ (٢٧) مَا أَغْنَىٰ عَنِّي  
مَالِيَةَ (٢٨) هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَةَ (٢٩) خَذُوهُ فَعَلُوهُ (٣٠) ثُمَّ الْجَحِيمَ  
صَلُّوهُ (٣١) ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ (٣٢) إِنَّهُ كَانَ

لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ (٣٣) وَلَا يَحْضُ عَلَىٰ طَعَامِ الْمَسْكِينِ (٣٤) فَلَيْسَ  
لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ (٣٥) وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غَسْلَيْنِ (٣٦) لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا  
الْخَاطِئُونَ (٣٧) .

## شرح المفردات

القاضية : أى القاطعة للحياة فلم أبعث بعدها ، ما أغنى عنى ماله : أى لم يقن  
عنى مالى الذى تركته فى الدنيا ، هلك : أى بطل ، والسلطان : الحجة ، غلوه : أى  
شدّوه بالأغلال ، والغلّ : القيد الذى يجمع بين اليدين والعنق ، والجحيم : النار  
المتأججة المشتعلة ، وصلبته النار وأصلبته : أى أوردته إياها ، ذرعها : أى طولها ،  
فأسلكوه : أى فاجعلوه فيها بحيث يكون كأنه السلك : أى الخبل الذى يدخل  
فى ثقب الخرزات بعسر اضيق ذلك الثقب ، إما بإحاطتها بعنقه أو بجميع بدنه بأن  
تلفّ عليه ، ويقال سلكته الطريق : إذا أدخلته فيه ، حميم : أى قريب مشفق ،  
والغسلين : الدم والماء والصدئ الذى يسيل من لحوم أهل النار قاله ابن عباس ، وعن  
أبى سعيد الخدرى مرفوعاً : «لو أن دلوا من غسلين يهرأق فى الدنيا لأتبن أهل الدنيا»  
أخرجه الحاكم وصححه ، والخاطئون : أى الآثمون ؛ يقال خطى الرجل : إذا تعمد  
الإثم والخطأ .

## المعنى الجملى

بعد أن ذكر سرور السعداء بصحائف أعمالهم ، ثم بين حسن أحوالهم  
فى معاشهم ومساكنهم — أردف ذلك بذكر غمّ الأشقياء الكافرين وحزنهم  
بوضع الأغلال والقيود فى أعناقهم وأيديهم ، وإعطائهم الغسلين طعاماً ، ثم أعقبه  
بذكر سبب هذا ، وهو أنهم كانوا لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ، ولا يحشون على  
مساعدة ذوى الحاجة والبائسين .

## الإيضاح

(وأما من أوتى كتابه بشماله فيقول ياليتنى لم أوت كتابيه) فإنه لما نظر في صحيفة أعماله ، وتذكر قبيح أعماله ، خجل منها وتمنى أن لو كان عذب في النار ولم يخجل هذا الخجل .

وفي هذا إيحاء إلى أن العذاب الروحاني أشدّ ألماً من العذاب الجسماني .  
(ولم أدر ما حسابه؟) أى ولم أعلم أىّ شيء حسابه الذى أحاسب به ، إذ كله وبال ونكال .

(ياليتها كانت القاضية) أى ليت الموتة التى متها فى الدنيا كانت نهاية الحياة ، لم أبعث بعدها ولم ألق ما أنا فيه من نكال وسوء منقلب .  
قال قتادة : تمّى الموت ولم يكن فى الدنيا عنده شيء أكره من الموت اه ،  
وشر من الموت ما يطيب له الموت ، قال شاعرهم :

وشرّ من الموت الذى إن لقيته . . . تمنيتُ منه الموتَ والموتُ أعظم

(ما أغنى عنى ماليه) أى لم يدفع عنى مالى الذى كنت أملكه فى الدنيا من عذاب الله ولا من بأسه شيئاً .

(هلك عنى سلطانيه) أى ذهب ملكى وتسلطى على الناس ، وبقيت فقيراً ذليلاً ، ومراده التحسّر والندم ، إذ كان ينازع الحقين بسبب الملك والسلطان ، فالآن ذهب ذلك وبقي الوبال .

ثم ذكر سبحانه سوء منقلبه فقال :

(خذوه فقلّوه . ثم الجحيم صلوه) أى فيقال لزابانية جهنم : خذوه فضعوا الغلّ

فى عنقه ، ثم أدخلوه فى النار الموقدة لقاء كفره بالله واجترأه عظيم الآثام .

(ثم فى سلسلة ذرعها سبعون ذراعاً فاسلكوه) أى ثم أدخلوه فى سلسلة طولها

سبعون ذراعاً تلفت على جميع جسمه حتى لا يستطيع تحركاً ولا انفلاتاً .

والعرب إذا أرادت الكثرة عبرت بالسبعة والسبعين والسبعائة ، والمقصد إثبات أنها طويلة المدى .

ثم بين سبب استحقاق هذا العذاب فقال :

(إنه كان لا يؤمن بالله العظيم) أى افعلوا ذلك به جزاء له على كفره بالله فى الدنيا وإشراكه به سواء ، وعدم القيام بحق عبادته وأداء فرائضه .

(ولا يحض على طعام المسكين) أى ولا يحث الناس على إطعام أهل المسكن والحاجة ، فضلا عن بذل المال لهم .

(فليس له اليوم هاهنا حميم) أى فليس له يوم القيامة من ينقذه من عذاب الله تعالى ، لأنه يوم يفر فيه القريب من قريبه ويهرب الحبيب من حبيبه .

وجاء فى آية أخرى : « وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا » وقال : « مَا لَلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ » .

(ولا طعام إلا من غسلين . لا يأكله إلا الخاطئون) أى وليس له طعام إلا ما يسيل من لحوم أهل النار من الدم والصديد الذى لا يأكله إلا من مر على اجتراح السيئات ، ودسّ نفسه وأحاطت به الخطايا .

فَلَا أُقِيمُ بِمَا تُبْصِرُونَ (٣٨) وَمَا لَا تُبْصِرُونَ (٣٩) إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (٤٠) وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ (٤١) وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَا تَدَّكَّرُونَ (٤٢) تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٤٣) .

### شرح المفردات

ماتبصرون : هى المشاهدات ، وما لاتبصرون : هى المغيبات .

## المعنى الجملى

بعد أن أقام الدليل على إمكان القيامة ، ثم على وقوعها ، ثم ذكر أحوال المؤمنين السعداء ، والكافرين الأشقياء — أردف ذلك بتعظيم القرآن والرسول المنزل عليه هذا القرآن .

قال مقاتل : سبب نزول الآية أن الوليد بن المغيرة قال : إن محمدا ساحر ، وقال أبو جهل : شاعر ، وقال عقبة : كاهن .

## الإيضاح

( فلا أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون ) أى أقسم بما تشاهدون من الخلقات . وبما غاب عنكم ، قال قتادة : أقسم بالأشياء كلها ما يبصر منها وما لا يبصر ، وقال عطاء : ما تبصرون من آثار القدرة ، وما لا تبصرون من أسرار القدرة .

( إنه لقول رسول كريم ) أى إن هذا القرآن كلام الله ووحيه أنزله على عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم .

( وما هو بقول شاعر ) لأن محمدا لا يحسن قول الشعر .

( قليلا ما تؤمنون ) أى تؤمنون بذلك القرآن إيمانا قليلا ، والمراد أنهم لا يؤمنون

أصلا ، فالعرب تقول : قلما يأتينا ، يريدون أنه لا يأتينا .

وقد يكون المراد بالقللة أنهم قد يؤمنون في قلوبهم ثم يرجعون عنه سريعا .

( ولا يقول كاهن قليلا ما تذكرون ) أى وليس بقول كاهن كما تزعمون ، لأنه

سبب الشياطين وشمهم ، فلا يمكن أن يكون بإلهامهم ، ولكنكم لما لم تستطيعوا

فهم أسرار نظامه — قلتم : إنه من كلام الكهان .

ثم أكد ما تقدم بقوله :

(تنزيل من رب العالمين) أى بل هو تنزيل من رب العالمين نزل به الروح الأمين على رسوله صلى الله عليه وسلم .

وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ (٤٤) لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ (٤٥) ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ (٤٦) فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ (٤٧) وَإِنَّهُ لَتَذَكَّرَةٌ لِلْمُتَّقِينَ (٤٨) وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُكَذِّبِينَ (٤٩) وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ (٥٠) وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ (٥١) فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ (٥٢) .

### شرح المفردات

التَقَوَّلُ : الافتراء ، وسمى بذلك لأنه قول متكلف ، والأَقَاوِيلُ : الأقوال المقترأة ، واحدها قول على غير قياس ، لأخذنا منه : أى لأمسكناه ، باليمين : أى بيمينه ، والوتين : عرق يخرج من القلب ويتصل بالرأس ، حاجزين : أى مانعين ، حق اليقين : أى عين اليقين .

### المعنى الجملى

بعد أن أثبت أن القرآن تنزيل من رب العالمين ، وليس بشعر ولا كهانة — أكد هذا بأن عمدا لا يستطيع أن يفتعله ، إذ لو فعل ذلك لأبطالنا حجته ، وأمتنا دعوته ، أو سلبناه قوة البيان فلا يتكلم بهذا الكذب ، أو قتلناه فلم يستطع نشر الأكاذيب ، وقد جرت سنتنا بأن كل متكلف للقول لا يقبل قوله ، ولا يرضى

السامعون إلى كلامه كما قال : « وَمَا أَنَا مِنَ التَّكَلِّمِينَ » ولا يستطيع أحد بعدئذ أن يدافع عنه .

ثم ذكر أن القرآن عظة لمن يتقى الله ويخشى عتابه ، وإنه حسرة على الكافرين حينما يرون ثواب المؤمنين ، وإنه لحق لاريب فيه .  
ثم أمر رسوله بأن يقدس زبه العظيم ويشكره على ما آتاه من النعم ، وعلى ما أوحى به إليه من القرآن العظيم .

### الإيضاح

( ولو تقول علينا بعض الأقاويل ، لأخذنا منه باليمين ) أى ولو افترى محمد علينا بعض الأقوال الباطلة ونسبها إلينا لعاجلناه بالعقوبة ، وانتمننا منه أشد الانتقام .  
والأخذ باليمين يكون عند ضرب الرقبة وإزهاق الروح ، وقد جرى ذكر هذا على التمثيل بما يفعله الملوك بمن يتكذب عليهم فإنهم لا يمهلونهم ، بل يضربون رقبتهم على القور .

( ثم لقطعنا منه الوتين ) الوتين : عرق غليظ تصادفه شفرة الفاجر .

قال الشماخ ابن ضرار :

إذا بَلَمَّتَنِي وَحَمَلْتِ رَحْلِي      عَرَابَةً فَأَشْرَقِي بَدَمِ الْوَتِينِ

والمراد — أنه لو كذب علينا لأزهدنا روحه ، فكان كمن قطع وتينه ، وهذا تصوير للإهلاك بأفطع ما يفعله الملوك بمن يغيظون عليه ، إذ يأخذ القاتل يمينه ويكفحه بالسيف ويضرب عنقه .

( فما منكم من أحد عنه حاجزين ) أى فما أحد منكم يمنعنا عن عقوبته ،

والتنكيل به .

وجمع « حاجزين » باعتبار أحد ، إذ هو فى معنى الجماعة ، ويقع على الواحد والجمع

والمذكر والمؤنث كما جاء في قوله: «لَا تَفْرُقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ» وقوله: «لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ» .

(وإنه لتذكرة للمتقين) أى وإن هذا القرآن لعظة وذكري لمن يخشى عقاب الله فيطيع أوامره ، وينتهى عما نهى عنه ، وخص (المتقين) بالتذكرة والعظة ، لأنهم هم الذين ينفعون بها .

(وإننا لنعلم أن منكم مكذبين) له بسبب حبكم للعالمية وحسدكم للداعى ، وإننا لنجازيكم على ذلك بما تستحقون إظهارا للعدل .

والتلخيص — إن منكم من اتقى الله فبذلك هذا القرآن وانفع به ، ومنكم من مال إلى الدنيا فكذب به وأعرض عنه .  
وفي هذا وعيد شديد لا يخفى .

(وإنه لحسرة على الكافرين) أى وإن هذا القرآن لحسرة عظيمة على الكافرين فى دار الدنيا إذا رأوا دولة المؤمنين ، وفى الآخرة إذا رأوا ثواب المصدقين .  
(وإنه لحق اليقين) أى وإنه للحق الذى لا شك فى أنه من عند الله لم يتقوله محمد صلى الله عليه وسلم .

(فسبح باسم ربك العظيم) أى فسبح الله تعالى بذكر اسمه ، تزيها له عن الرضا بالتقول عليه ، وشكرا له على ما أوحى به إليك من هذا القرآن الجليل الشأن .  
وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم .

### ما تضمنته هذه السورة الكريمة

تضمنت هذه السورة ثلاثة مقاصد :

- (١) هلاك الأمم المكذبة لرسولها فى الدنيا من أول السورة إلى قوله: «أُذُنٌ وَأَعْيَةٌ»
- (٢) عذاب الآخرة جزاء على التكذيب فى الدنيا .
- (٣) إثبات أن القرآن العظيم وحى من عند الله وليس بقول شاعر ولا كاهن .